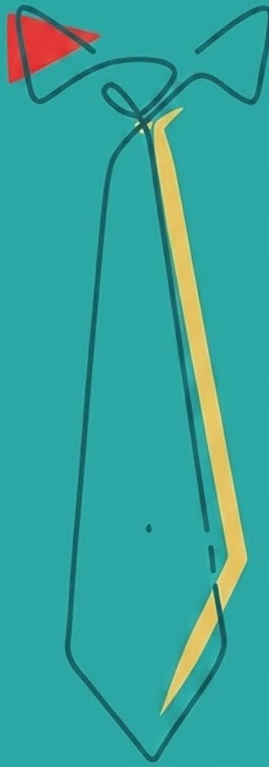


شعر

عامر الطيب

نُبلَاء وموتى وحزينون



ل م س
LAMASSU
PUBLISHERS

إذا نال هذا الكتاب إعجابك، فتذكر أن خلف
سطوره مؤلفاً أفنى وقته في صياغته، وناشراً
بذل جهده في إيصاله إليك. شراؤك للنسخة
الورقية هو صيانة لحقوقهم، وضماناً
لاستمرار عطاء المعرفة.

نبلاء و سوتى و عزىنون

عامر الطيب

نبلاء وسوتى وعز ينون شعر



LAMASSU

دار لاماسو للنشر والتوزيع

الكتاب: نبلاء وموتى وحزينون

الكاتب: عامر الطيب



التصنيف: شعر

الطبعة الأولى: 2024

الترقيم الدولي: 2-21-89925-91-978



تصميم الغلاف: نينا عامر

التنسيق الداخلي: سعيد البقاعي

المقاس: 14.5 * 21.5

عدد الصفحات: 165



info@lamassu-p.com ✉

www.lamassu-p.com ☎

دار لاماسو - دار لاماسو للنشر والتوزيع ©

حقوق الطبع والنشر لهذا المصنّف محفوظة للمؤلف، ولا يجوز بأية صورة إعادة النشر الكلّي أو الجزئي، أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه، أو تحويله رقمياً، وإتاحته عبر شبكة الإنترنت، إلّا بإذن كتابي سابق من الناشر.



LAMASSU

دار لاماسو للنشر والتوزيع

أقتبس قصائد الآخرين
وأقول أنها لي،
عاطفتي تتوزع بين رجال شتى،
بيتي بيوت متجاورة
ونجمتي هي ذاتها النجوم
التي تسعد عيوناً بعيدة..
أنهي حياتي بما ينهي به أي أحد حياته
وأقول ذلك هو البلد الذي سأشتاق إليه،
تلك هي الخطيئة التي
سأروض لها نفسي..

أقتبس القصائد
مقتطعة كقصاصات
وأنشيد لأطفال
ليسوا ذوي شان..
ولأن الجميع يباشرو بالتعرف على أي شاعر يضع كلمة
عن سرج فرس
هذا العالم
ينقصه شعراء مجهولون.

لم يكن من بلدٍ
تدعى عليه يسع
خطوك، لم يكن من زمن
يوقف صوتك عن التوغل
عبر عويل شجرة..
المحصلة
إنك تتمشى في شوارع وحدتك
المعتمة
بسرعة قياسية
وأنا أتلقف الحصى.

رأيت شاعراً يبصق الكلمات
نحو جماهير تلوح لعواطفه
الديئة
بمناديل.
رأيت مصباحاً
يبدو منطلقاً في حجرة صغيرة
ومخنوقاً بممر.

يا أحفادي
كما لو أن أحدكم قد طلب مني أن أخبره
بالحقيقة.

رأيت في الرابع عشر من أيار
إني أعيش في أيام الدناءة البشرية،
إن جاز لي أن أكتب
عن المدينة

فمن أجل الانتصار
على أسوأ شوارعها،
وإن لمحت للقتلة فلائهم
يشيدون سجوناً للأفواه،

إن صليت
من أجل الرحمة
فلأن آلهة أعدائي أدنى قدراً من آلهتي.
وإن أحببت
فلأن النجوم حين تجف
الأنهار
ترتوي من بركة..
أما إن غضضتُ البصر
عما يمكنني
الحديث عنه
فقد أتيح لنا أن نتحدث
عن الحرية
خمسة أيام في الأسبوع
مقابل ألا نغدو
أحراراً.



يشير تمثال يسوع
قبالة نافذتي
إلى أن جسد المسيح المصلوب
تجاوز الحديث عن جراحه الأليمة
مكتفياً بالتلميح.

شعرائي القدامى
نتفحص كلماتكم بأدق
من الرعاية
التي كنتم تؤلفون بها
أي هراء
فليس ثمة
شيء في القصائد الليلية ينعسنا
كعيون الموتى.



جاورني أناس
في الباص يتحدثون عن
هجرة البلاد فأردت
أن أخبرهم
إن بلادي رحبة
دون أن أشير إلى المحطات
والبيوت القصية
انتبهت إلى أن أحدهم
يحمل خنجراً،
انطفأ اسم العراق
على لسان
محبوبه
والتمع الخنجر.

لم لا تحيينني
كما يحب منفي بلاده
يخيل إليه
إنها حرة ويائسة وحنونة؟
لم لا تفكرين بمهام جديدة
انظري كيف تبدو ملامحنا
مؤنسة
في ظهر المرأة.

أنا الذي لم أذهب
إلى الحرب رأيتُ البنادق أكثر
من الجنود،
لم أقع بالحب
بكثافة المفتونين
لكن أمكنني
أن أتلمس الجراح
المريرة
بنبوغ المرضى.

**

قصائدي لا تستحق
أن تعزى إلى وردة،
حين تنمو القصائد بثمرن غالٍ
ستذبل مجانا.

**

أختبئ خلف شجرة
فمع امتزاج ظلينا سنبدو
بحاجة ظلام كاف
كي نتساوى.

لا تنظر نحو القتل مطولاً
بمجرد ما تعتقد
أن عينيه
مفتوحتين
بالكامل سيرى.

بعد نسيان صغير
أوقفنا الساعة وغطسنا المفاتيح في الوحل، نسي الببغاء ما
علمناه إياه
وأبدلنا الأسرة..
كانت لك رائحة
في مصباح صغير
فأطفأناه حتى نهايته،
كان لك صوت
في رنة جرس خافتة
فاستهلكنا إغلاق
الباب.



يلتهم
آكلو اللحوم البشرية قلباً
نيئاً
تتلطخ أيديهم
بدمه،
يبصرون مخاوفه
ودموعه الدفينة
ويمضغون اللحم اللزج بمعاناة..
تحت زخات المطر
الباردة
يستعذب الهمجيون امتصاص الحُب المالح
في قلب الإنسان.

دع الكلمات تأخذ حذرهما
في النص الأدبي مقابل أن تشق طريقها،
الكلمات حتى تلك التي تبدو
كمصطلحات علمية بشيء من الرصانة
ستنال حصتها
من العاطفة
من الحزن والقطن والدم..
دع الكلمات التي تصف الجثث
حيادية فالحياة لها بدايتان ونهاية واحدة
لكننا غالبا ما نخفقُ بصنع الكلمة المناسبة
لإنهاء النص.



قام شخصٌ ما بصناعة
يومه دون تدخل أحد،
مع الفجر
فكرَ بتأليف أغنية،
حين انتصف النهار جعلها زائفةً،
مع غروب الشمس
قررَ أن يهديها لزهرة عباد الشمس
وإذ حلّ الظلام
طلب من رفاقه أن يرددوها معه
فكان الجميع يغمضون أعينهم
كي لا تُنسى.



جاءني حبٌ على هيئة الحياة
فلم أرد أن أدع
حيزاً في جسدي دون نافذة..
جرح كما لو أنه مزحة
فتدبرت آثاره
كي آخذه على محمل الجد.
❧

أحبُّ سهواً وأتألم
عن قصد، أفكر بنوايا طيبة
وأكتب لأن حياقي غاضبة مني..
أولد لأزيح الغبار قليلاً عن كتف أبي،
أشب لأرى ما الذي سيزول بمواربة
وأشيخ ليقلدني الأطفال.
❧

شاهدت كتباً حزينة على الرف
تكاد أن تمسي مفتونة
بالغبار وسعيدة
بألا يتصفحها أحد.
كتب ألفتها على الغالب
كتابٌ موتى أو سعداء.



هذه بلادٌ لاستعادة
الرهائن، شخص ما يجيء
مصنوعاً من الروث
ويحتطف بيتاً
بأضواء قديمة
وهواء عريق..
هذه بلاد لإعادة
كل شيء إلى موقعه:
الأزهار للمقبرة النائبة والجثة للبيت.



إذا متَ اليوم
فسيصلى عليك بجدية نادرة
لأن المصلين
سيرتعشون،
الغرباء سيتلذذون بطعامك الساخن
والنسوة
سيبدو لهن موتك
مدعاة لاستذكار الدفء..
إذا متَ اليوم
سنخمن مصيرك دون مأساوية
فنكتب لك الشهادة
التي أحبتها على عجل.



على الأغلب
سيمضي شبابي دون أن أذهب
إلى عالم الميتافيزيقا،
دون أن ألمس الإيقاع
ما لم أسمع..
الألم هو الجرح
لا الشيء الأقل تجريدية،
الجسد هو التلمس بعناء
لا سماء ببرق متواصل..
النهاية حيث نعثر على إله
الرجل البدائي في موطئ القدم.



حين كان الربُّ
في الثانية عشرة من عمره
أحب اللهو
فصنع البحيرة
ونسي أن يملأ سقفها بالنجوم
فكلفه نسيانه
أن يصنع العربية قبل الحصان
الأجنحة قبل الرأس
والكلمة قبل فم الطفل..
ما الذي بقي هناك؟
-النار
إنها حمراء بين يديه
ومائلة إلى الزرقة منذ الأزل.



لمحتُ اسمك أسفل القصيدة
وقد قمتِ بترجمتها - لم أنتبه لذلك -
عندما ظننتُ أنها قصيدتك
عاجتُ الدموع
كما يشوهُ حيوان المرايا
لثلا يألف وجه عدوه ولحظة ما علمتُ
أنها لم تكن قصيدتك
أطفأت الشموس العجولة
بالنيذ..
دائماً
تبدو القصائد أليفة
فأتصرف بوحشية حيالها
ثم أتبين أنها قصائد الشعراء
الغرباء فأغفر لهم.



واقفاً، مستنداً، منحنيّاً
قاعدّاً، متكئاً، متجولاً، مهرولاً، متوسداً، غافياً
على وشك أن أستيقظ
أكتبُ لك بما أنني
سأنسى حياتي على الطاولة..
تلك فرصة المئة السنة الأخيرة
في العالم
حين تدعين الطاولة
هامدة
وتقلبين حياتي.



لدي منذ الطفولة
خطة للهرب من البيت لم أستخدمها:
أتأكد من أن أهلي نيام
أشعل أضواء
الغرفة
وأغادرها.

لدي حلم قديم
بالموت لم أحلمه أبداً،
أن ينالني وأنا على الطاولة
إذ الموت جائع للغاية
وفمي محشو بالرمان.



حين تبغضين الرجال
أشعر بالأسف
لأنني كنت رجلاً حنوناً بمواربة
وقاسياً بإسراف..
حين تتحدثين عن الرجال
بامتنان
أعرف أن الرجال يصيرون رجالاً
على الأغلب حين
حين يضيعون أسوأ الفرص.



أتذكر يد الطبال
وأنسى اللحن، أجهل القصة
وأعرف من نسجها
من وحي خياله..
أتبين الأبواب الموصدة
لأنها موهبتي
والأبواب المواربة في تراحم الأثر.

أخذتُ الأوامر من الأطباء
وخلعتُ ملابسي
لأرتدي زيَّ العملية الجراحية،
هناك لم أكن قادراً على معرفة
إن كان الشعر سيهيني
حياة كافية لأمرّ،
إن كان الجسد النزق
سيدخر لحظة وعي واحدة..
هناك تحت تأثير المخدر
أشرت للشعر بلغة الناثر الحزين:
بأنه ذلك الأثر الجانبي
الساخر بالدلالة على موطن الألم.



من الطابق الخامس حيث كنتُ راقداً
إلى الطابق الأول حيث
يتم تخديري
كنت أحبك باستمهال مياه المزاريب
على أمل أن يتعطل المصعد
وأنزل برفقة الممرضين على الدرج.



رجال آخرون
يتخلون عن وظائفهم
حين يمرضون
أشفق على صراخهم حين يتبدل
إلى صراخ خراف هلعة..
فلا تتخلّ عن حياتك العادية،
لا تستخدمها
بجدية
ولا تن الروح التي لا تعرف عنها شيئاً..
رأيتُ
أغصاناً تجف
ويعني ذاك إنها حيت تتخلى
عن وظيفتها اليومية
تمسي قضباناً.



لا تتسع الأرض
لأكثر من اثنين يدعها أحدهما
تدور حتى تقع بحجره
فيما الآخر يتفرجُ..
عفوا أيها السادة إنه الآن يحملها ويخلق
فالبديهي
إن الأرض يمكن حملها
والأقل من البديهي
إن الأرض تشبث حجرة تلو حجرة
بأصابع اليد.



الذين تقول لهم البيوت
فيتخيلون الأبواب
لا الجدران
عادة ما يخطئون بمعرفة
ما الأوطان الملائمة لحياتهم..
الذين ترسم لهم عيوناً
مفتوحة فيغمضونها بالخبر
على اعتبار أن إبقاءها مفتوحة
يعرضها لان تندثر
بالدموع فقط.



يقارن الشاعر
عمله بعمل الخباز
أو موظف الأرشيف
برجل المرور أو منظف الحمامات
فيجد عمله
مأساوياً ومع ذلك
فإنه دائم الزهو بسعادة ما يصنعه..
من المخيب للآمال
أن يصبح أحدنا في الألفية الثالثة
شاعراً على مضض.



«ورشة الكتابة»
يا لها من أضحوكة إذ يقوم
كتّابٌ بمقام القديسين
وكتّابٌ آخر
بمقام المرضى،
يمنح هؤلاء النصائح بزهو
ويتلقاها أولئك بحسن نية
على أية حال
فإننا نكتبُ في جلبة الحياة
اليومية
ونتقاعدُ في الورش!



اسمحوا لي أن أحدثكم
عن حياتي
متجنباً الاطالة
أن أعيش مأساتي
قبل أن أخسر حقيقتها، ذلك أن القصص
الزائفة
هي التي تصنع أبطالاً.



عناوين القصائد
تستخدم لأي شيء غير الدلالة
وهذا ما ينبغي ألا يدعك
تستغرب
وأنت تذهب
نحو قصيدة عن الغابة اللانهائية
عبر عنوانها
لتجد نفسك كالعادة
مكسور الجانب في البيت.



وجهي ليس جميلاً
وحين مرضتُ لمستُ ذلك، ناولني أخي
المرأة فعرفتُ الحقيقةً..
ملاحي قاحلة
كمفارق الدروب
وجمالي حزين وعادي
كما يصنع
طفل لعبته
من زجاجة لامعة
ويمنحها عيناً من طين.



سأرحل وأنا أندب
لترحل وأنت تهزأ من أي شيء
وفي المحصلة
قد نرحل معاً
وتغدو الحياة فارغة
أو تضاعف أقدامنا المسرعة
رفرفة الريح.



كم كان المساء حنوناً
حين كنت حياً وأنا أحبك
كالولد العابر،
الضعيف أو الغريب أو القتيل
كم كان موتى بعيداً
حتى أن الأغنيات كبرتُ في كل مكان
بأضعاف ما يكبر البشر.



السيدة يومياً
تلمّع زجاج نافذتها ونحن نتلصص.
فرأت ذلك ولم تتحرج
منا.

ظلّ للسيدة سرٌّ
إنها كانت عمياء وميتة
ولدينا أسرارنا أيضاً
لكننا لو أبحنها في اللحظة التالية
لن نبدو أطفالاً.



أشعل الصبي شمعته
ووضع إصبع معلمه على الكلمة،
حدّق المعلمُ
وعرف أنه جادل صبيه دون طائل..
لقد تعلمَ الصبي
لكن ليس إلى النهاية
أطفأ المعلم الشمعة
ليضع إبهامَ الصبي
على الكلمة ذاتها.



صلا تي مقتضبةً
لئلا تحترق البطاطا في المقلاة
فتتبرم ابتي الصغيرة
من توحش شكل البطاطا
وقد نصجت أكثر مما يلزم..
عينا طفلتي وديعتان
وبفعل الصلاة الطويلة
حدث أن احترقت البطاطا بالكامل
وتفحّم وجهُ الرب.



ماذا تفعل اللقالق حين تفقدُ
عقلها؟ أرى خفقات أجنحة
غير متناسقة..
الرجال أيضاً
في الريح العاتية
يخيل لي أن لأحدهم
تلويحةً نهائيةً بحجم اليد.



هل رأيت رجلاً
يتحدث والسيجارة بفمه
فسألت نفسك
كيف يضبط إيقاع حديثه
مع أن كل كلمة من كلماته
ستؤول
إلى دخان؟
أشارك الرجل حديثه منغمساً
للحد الذي أجد به السيجارة
بفمي!



مشاهدة امرأة ترقص مطولاً
تدفعني للاعتقاد
بأنها لا تعرف مم تتألم.
تنهي وصلتها بانحناءٍ
فيصفق لها الجمهور،
ثمة ألم يرسخ
في الدماغ كما لو أنه
مشدودٌ بقدم.



سمعتُ ضحكة
امرأة من الطاولة
المجاورة
ولم تسمح لي استراتيجية الرجل
الحزين
بأن ألتفتَ لأرى
مَن تكون؟
استمرت الفتاة بالضحك
بين حين وآخر
فقاومتُ رغبتني بأن أراها
ومن أجل ألا يسخرني العالم لأغراضه الدنيئة
غادرتُ المقهى.



«خاتمة المطاف»

يا لها من عبارة تجعلُ النهاية

كما لو أننا عبر رحلة

إلى بغدادٍ في وقت غابر

حيث أهدى هارون الرشيد

ساعةً خالدةً لشارلمان..

الشموع شاخصة والغرباء يتوافدون

في ذلك الزمن

حيث نختبئ تحت الزيتون

حين تمطرُ،

لدينا دموع دافئة ونخشى أن تتبلل.



أنهي رسائي
بعبارة أوفيد:
«الثيران التي تقاوم المحراث في البداية
تضرب أكثر من تلك التي تعلمت أن
الحرث عمل سار»
مشيراً إلى أن كلمة
قصيدة
تثير حساسيتي تجاه
عدم كتابتها.
وحيث ترغب الثيران بأن تبدو
صالحة للعاطفة الشعرية على الأقل
فأنا شاعر بما يجعلني
آمناً من أن أبدو محراثاً.



كان أبي طوال حياته
يعيد العبارات نفسها:
كيف يبدو
الماء ساذجاً في الكأس؟
كيف تتدفأ القنافذ
وتعود الغربان قبل أن يحل
الظلام بوتيرة واحدة؟
كيف نمت النباتات
التي لم نغرسها على السياج
دون مراعاةٍ
وتظاهرت النوافذ الموصدة
بالوداعة؟
أشياء عادية مثل تلك كانت تشجعه
للوقوف في الحديقة مطولاً
وتدفعنا لننام.



كنتُ أهيمُ يدي لمعانقتك
عبر غرس
أزهار التوليب
على الشرفة.
المساء مهترئ والشارع خال
من آثار ريح.
كيف أهيمُ اليد نفسها
لتلوح لك
ذلك سيتطلب منك يا مَنْ يشاركني في الجلوس
على الشرفة
تذكيري بالأزهار.



الجلوس بانتظار أمر الرب
على العشب
أو على الكرسي الدوار
ذلك ما يفعله جاري منذ سبعين
عاماً على الأقل
وقد قرأ كتب الآلهة
وأتقن تفسيرها وفق هواه.
أشعلت الأضواء وتناهى إلى سمعي
المصحف مرتلاً
بنبرة خافتة
لم مات جاري؟
تسألني لأقول لك:
كان انتظاره فجاً أكثر من اللازم
فسئم الرب.



الآن في لغة بلاد نائية
يقوم المترجم بعمل الآلهة القديمة
يجعل السحر أليفاً
والبرق عذاباً في عتمة قلب أحد..
الآن وقد قرأت قصيدي بلغة بلاد نائية
فرأيت كيف كان ظلي سائحاً في الشارع
وفي القصيدة الأصلية ملتفّاً حول البيت.



نرحف على ركبنا ونطمح
لأن تكون خفقات الأجنحة
أقل اعتياداً.
نسترق النظر بما يمنحه النظر
من فتنة للأشياء
يعني ذلك أننا فقط
حين تدوي الرياح العالية نسمع صمت الأحجار.



المخاوف قدرة
ودائمة الخصرة أيضاً لدرجة
أن أحداً يفكر أن يستيقظ
دون مخاوفه اليومية
فيخاف.



تسير نحو وجهة ما
متظاهراً بأنك تبلغها،
تستخدم تعبير «بلى ذلك ممكن»
واستخدم تعبير
«بوسعي فعل الأمر»
تضع السكين في نهاية الجمل
وأضعها
في بدء الجملة..
الحريق في المدن البعيدة
هو رغبة بالحياة
أيضاً،
فلننظر معاً كيف
يتناثر سواد الكلمات رماداً
ويضيء الورق.

جزءٌ من كفاحي اليومي بأن أحبَّ
معلقاً وردة بلاستيكية على قميصي،
حاملاً مصباحي
ومهدداً كل مرة بأن أقول الحقيقة.
جزء من حساسيتي
بأن أرسم شجرة توت
كبيرة على مرآة مغطاة بالغبار،
أؤلف حكايتي بجدية
أنتظر قدومك في إحدى الوديان المعتمدة
حين لا نجد أحداً
يدلنا على الجبل.



أبقىك مفتوحة العينين
حين تموتين، أهبك هيئة
من يحب البذرة البرية
بالطريقة التي يفضلها الحجر.



شجرة زوجتي
بجانب شجرة حبيتي وقد أوليت الشجرتين
الرعاية، لكن ليس الرعاية ذاتها
فجأة حين يحل الظلام
أحرس الظلال المغمورة
وأفرط بالثمر.



تشعل شمعتك وتنساها على النافذة
ثم تكمل أعمالك العادية
دون أن تفكر للحظة
واحدة
بما ستكون عليه حياتنا
بعد سنوات..
ألا تنفخ على الشمعة في الوقت المناسب
ذلك ما ييقيني
مجروحاً.



مَن الذي يعرف لنا الرب
دون أن يستعين بالقلم ليصنع لنا

دائرة

ويشققها نصفين

قائلاً:

هذا الجزء المعتم

لك

وهذا الذي تتم اضاءته لإلهك..

من الذي يخبرنا أن الرب

خلق القمح

من أجل الكعك

والبيوت من أجل الأجراس،

صنعَ النجوم لئلا تتلطف بالدم

والدوائر لنمحو الخط.



قريباً ستستلم لأن تضع كتابك
دون حاجة لركام الورق،
الرغبة بأن يمر اسمك على الألسن تجعلك
مفتوناً
بمراقبة ما يقوله الناس عنك،
بتعالٍ وحزن تدعي
بأنك لا تود أن تغدو مشهوراً
ولن يعجبك أن تظل مجهولاً..
ها أنت تؤلف كتاباً
عما لا يمكن قوله بجدية
لأن الغبار يدعوك هذه المرة
لتجد لكلماتك البراقة
مكاناً على الرف.



لماذا قصائدنا لا دموعنا؟
هي التي تدفع النسوة
نحو اعتبارنا ذوي شأن..
لماذا شجاعتنا لا خزيننا؟
هو ما يوحى
لهن بأننا عتاة
وأناييون
لماذا يخبرنا بأن لنا رؤوساً
لندفنها
وأصابع لنبقيها في الهواء..
يجعلنا نستهلك فرصنا
بدلاً من أن نهدرها
ويجددن حيلنا العادية باستغفال الموت.



سأقابلك خلصة
لأعاقب هؤلاء الذين قابلوك
مرارا دون حيلة،
أجلس معك في وحدة تامة
لأن الجميع
أمكنهم أن يكونوا وحيدين معك ولم يفعلوا..
سأحمل نحوك صليبا
مزيفا من الثلج،
بيتا بباب من الرماد
لتعصف الريح المفاجئة فنتركه مفتوحاً.



من وراء أذرع وقبضات
وكؤوس
ونظارات سمكة
ألمح وجهك
يتخطى كونه وجه امرأة
عادياً كالحاء شجرة..
عبر السنوات التي سيمضي
ستفحص
التجاعيد ذات الملمس الرهيب
فيتحصّل وجهي.



كلمة لاهية
تتعثر بين القصائد حتى حطتْ على قصيدي،
عندما أحو
الكلمات التي تجاورها
تبدو وحيدة
لكنْ لن أبقِها محاصرة بالكلمات نفسها
لشيخ.



ذهبتُ مباشرةً إلى الحب
دون الحاجة
لإبداء الإعجاب..
كنتُ ولداً لامعاً
بذراعين خفيفتين، أتيح لي أن أولف
الأغنية حين توارت الشمس
وآخذ فرصتي
بأن أبدو حزيناً وتلقائياً..
عدت من الحب مباشرة
عبر الطريق التي مكنتني من معالجة
الأثر.



كنت أتمنى أن أقول اختنقتُ
فلا يكتشف
قارئى تأويلاً للريح .
♠

يقرع باب بنحو مربع دائماً
حين أحبك
أود أن أبقى معك
حتى يكون ذلك اعتيادياً
وتتمكن الحياة
العادلة من إغلاق الباب .
♠

وقت ضئيل
لأن يضع أحدهم
الظلال في طريقك إلى البيت
فتندفع مثل ضوء مصباح،
الظل الوحيد
يتمايل مثل جسم وردة
وما أن تشرق الشمس
حتى تجد غريباً قد استولى عليه..
تتقدم ببطء نحو من يحبك
لتبلغه مشدوداً بظلال الغرباء.

ما الذي يريده الرجل؟
هذا هو السؤال الذي لم يكلف
فرويد ثلاثين عاماً
في التحليل النفسي ليجيب عليه..
يريد الرجل
أن يحب دون أن يلتمع
ويرحل دون أن ينطفئ
أن تخبره امرأة
أن ساقيه مثيرتان
وصوته أجش
وحياته شفافة..
يريد أن يعانق هذه المرة
بالطريقة التي يضيع بها
ذراعيه
وللمرة الأخيرة بالطريقة التي يستردهما بها فحسب.

كثرة كل شيء تجعله
عاديا أو سيئا
لكن الحب ليس كذلك، كثيرون هم الذين يؤلفون عنه
المراثي
وكتب الجيب
لكن العثور عليه مصادفة
كأسرع الأشياء
لمعانا
فالظلام يدوم من أجل استعدادنا لموتنا
والبرق يخطف
ليبقينا على حذر.

سأحبك لأن بوسع
الموتى أن يلمسوا الزهور
ويصغون
للأنشيد الشعبية،
بوسع الدموع أن تتدفأ في عيون مغمضة
والمصاييح
المتراقصة أن تتوقف في الشلالات.

**

حلّ الظلام مرة أخرى
وأنهيتُ واجباتي
فلتكن حياتك سلسلة وقد علمت إنني بانتظارها
ولتبدُ المعادلة
على هذا النحو الشعري السمج:
تقترب أمسيته ما قبل الأخيرة
فيتأجل موتي.

أرى الزهرة
فتشدني كآبتي لاستحضار ذبورها
على الفور،
أرى البيوت
فأوحي إلى نفسي
بمصائر مصايحها،
أتأمل الطيور وميتاتها
تحقق مع أجنحتها..
عبر تلك السوداوية أحب أن أهبك صباحاً جديداً
كلّ يوم،
ومن تلك القصائد الصدئة
أستخرج لك كلمات لامعة
كالأقفال.



سعادتي نتاج يأس شديد
من أن هذا لن يحدث
وتلك لن تستمر طويلا
وهذه ليست من أجلي..
أما حياتي بالمجمل فهي نتاج
سعادات طفيفة كجراح
فإلى أي حد أبدو عاجزا حين يتوجب علي أن أقدم
تفسيرا لجراحي.

إعادة الجسور كما هي،
البيوت كما لم تكن في المخيلة،
الأشجار إلى سابق عهدها
ظلال أو رسوم شاخصة،
الوقوف مرة ثانية
مثل فاتحي البلدان
حياتنا ما تزال تصغي لوقع قدمينا ونحن ما نزال
على وشك أن نبذو
متطلعي غيوم عابرة..
فيما بعد سيسهل تعريفنا
حين تتوحش الحياة عبر الصيغة التي تتألف بها الجثث.

لي رغبة بالضحك
ورغبتان بالبكاء الذي يتلف عيني المرء
فانظري ما الذي ستفعلينه؟
لي هلع من الحرب
واطمئنان لزوالها
فانظري ما الذي
يمكنك
إدامته أولاً..
لي موتان سعة الواحد
منهما مهولة
ويتوجب أن أحبك لتضييق المسافة بينهما
فقط.

في القصيدة بيت
لا يمكنني الاستراحة بين جدرانها،
غرف لا يمكنني إطفاء مصابيحها،
أطفال لا أستطيع
ممازحتهم،
شعب من الشمع
بحاجة رعايتي الدائمة
أعرف إنني في النهاية
سأغمض عيني على كلمات
دافئة
فيذوب.



أنا أسعل على مدار
أسبوعين
وهذه الكلمة
تدوينة نهائية،
بلدي لا يعلم ما الذي حل
بي في السفر
ورفاقي غرباء إلى حد ما
أحزن وأبصق
وأعطس مراراً
أنزوي ويتصب عضوي
وأبدل ملابسي دون حاجة..
أرغب بالبقاء
كالنجوم
وبالتلويح مطولا كأنه الحيلة التي أتذكر بها يدي.

رجل له أساتذة كثيرون وتلاميذ
أقل،
رفاق قليلون
وأحبة أقل منهم مصادفة،
له زوجة وحبيبة
كما للعالم
شمس ومصباح
عينان ونظرة وحيدة،
حيوان يستلطفه
في الشارع
ويستوحشه في البيت.

أتذكر كيف ضغطتَ بيدك
على رأسي فأمهلتني فرصة
لاختبار الرحمة
كيف سحبت
يدك
دون موااساة
فتوارت في كتفي.

الصلاة أشبه بالمطاردة
نحنى رؤوسنا
فيظهر الرب دون أدنى قدر من الحزن
نرفع أيدينا بالطريقة المحببة
فيتلاشى الرب.

كان أحد الرجال
يقف طوال حياته
لبضع ثوان
ثم لدقائق
ثم لأيام وأسابيع طوال
هذا ما كان يدرب عليه
نفسه

يظن أنه يتيح لظله
أن يبدو رفيقه
أما عندما أحب الرجل
الذي تحدثنا عنه فقد فكرَ
ألا يبقى مألوفاً
وقرر أن يعدو.

أقرأُ الشعرَ كمن يتلقى
خبرَ موتٍ قريب
يتبعُ ظلاله ثم بعد التأكد
يغالبُ
دموعه لئلا يبدو متوتراً
لأقل إنني ألاحقُ أمواتاً يقربونني
في القصائد التي أطلعها
وأعيد القراءة
بالنحو الذي يمهلهم وقتاً ليعودوا غرباء.



مثلك عندما تودُ
أن تقرأ كتاباً من ثلاثمئة صفحة
بنصف ساعة فحسب.
تطالع الفهرس
ثم تتصفح الأوراق
كأن المروحة هي مَنْ تفعل ذلك!
الكتب قاسية وأليفة
وغالبا تبدأ بإيلا منا في منتصف الطرق
فمقاسات مؤلفيها
غير مقاسات القراء.



متعاطفاً مع الجثة
وأعلم إني بعد حين سأنساها
مثل رفيقاتها.
بكائي مألوف كريح منزل مهجور
وحتى الدموع
ستؤول إلى هبات معتادة
كالينابيع..
مفتوناً بالجثة وقد أعارتني الفهم
عبر مقارنتي بين سلاسة أن أحب ومشقة أن أطفو.



منظّفة السلام
تعثر على أثر موحش
بلون بقع الدم
تضغط عليه وهي تمسحه
ومن المؤسف أن الأثر لا يمكن
إزالته
وعلى الأرجح أنه يحدق
بالبقعة التي يشغلها
إمعاناً بقدم.



الذين نُسبت لهم
الآيات التي لم يبدلوا جهداً
بتأليفها،
الذين ظل الناسُ يشنون على آمالهم
ولم يكونوا قد صنعوا
نصفها..
الشعراء الذين تمنوا
أن يصبح أولادهم شعراء مثلهم
صرفتُ ذهني عن سذاجة خيالهم الوحيد
هو لاء هم البشر الأردأ
ابتهاجاً
بالاسى.



هناك شمس
في العالم على عدد أصابعي يدي الاثنتين
تختبئ كل شمس منها خلف زهرة
وهكذا ستعملين كم سيدوم
الظلام
حين تطبقين جفنيك
أو أقبض يدي.



الأمل بأمس الحاجة
للأيدي والحدائق
وأعمدة الإنارة
كل ذلك من أجل أن يقف بجانبك
في العاصفة
أما الياس فهو من سيرافقك
بأجنحة
كأن قوته تكمن
في الاستغناء عن الخطي.



البحيرة تلتمع لكن ذلك ليس مبرراً
لأن أشبهها بدمعتي..
لماذا ترغبون
أن أتسلى بالقصيدة
كما لو أنها تهويدة..
هذا المجاز الذي يستعذب الآن
سيغدو مقززاً بعد
قرن فحسب:
البحيرة كالعين الميتة
ودمعتي جياشة كحجر.



في البدء كان ثمة احتمال
ضئيل بأنني سأجذك
في الأغاني الأليمة
ثم في الغناء السعيد
أفرغت الكلمة
من اللحن
لأجذك شبه ميت
الناي يقطع مسافة طويلة
وأنت شبه معطوب
لأنه المؤلم للغاية
أن تعزفَ بالريشة لتغني للطير.



في عيني دماء
أولئك الذين نظرت لهم
ميتين،
في أذني قهقحاتهم وهم يظنون
أن القاتل ليس جاداً،
بأصابعي
الريح التي أهانت عريهم في البرد
وبرأسي آلامهم التي
جعلوها أقل من آلام المسيح
تواضعاً..
وجودي قائم على أن ثمة من يدينني
لسبب ما
فطريقي خطأ في حسابات القاتل
وبيتي حلم هانئ لأصغر الجثث.



أعلم أن جدتي
أرادت تسليتنا ذات مرة
فألفت لنا حكاية
حزينة
ما أن نصل إلى نهايتها حتى نبدأ بالضحك
المستيري..
ماذا قلتُ؟
الضحك المستيري
وقد عنيتُ أننا نتوقف
الآن قبل النهاية بثوانٍ لئلا نبكي.



العابد في طريقه
إلى قبر الزهراء
قبل أن يتم اخفاؤه، ليلاً تم تغيير
الخريطة
وعبارات الاستدلال
وصباحاً كان الصبية
ينحتون على الصخرة
عبارة لم يرد العابد
أن تتضح
ولو ترك الصبية يكملونها
لعرفنا قبر الزهراء.

الأحرفُ العربيةُ
ليست كمثيلاتها اليابانية
تصلحُ لأن تغدو بيتاً
لكني أبذل جهداً لتدبير الأمر،
أضع الواو
فوق الآخر
ليغدو سياجاً من الطيور،
حرفا السين
والشين
يصبحان زهرتين طامحتين،

فيما يمسي حرف الألف
مصباحاً كافياً
لإضاءة طريقنا..
أكمل الأحرف
دون أن أنسى نوافذ بيتنا
المزموم كشفة
وبما أننا في المجاز نصنع أي شي لنحوزه
أهديك قصائدي
الآخيرة مليئةً بالغرف.

الأدلة على وجود الآلهة
أقل من أدلة
وجود الشيطان بمفرده
ولذلك نتبادلُ القبل
بشهوة وحشية
حتى يتدخل الكاهن،
وعلى رأي أحد رفاقي _ وقد قال ذلك
على مأدبة _:
لولا صمت الشيطان
لم يستمتع أي غنوصي
في العالم
بكلمات الرب.

كنتُ عالماً دون
نظام رصين، تتعثر كواكبي مصادفة
وتتطاير رمالي
دون هداية
أولف خطابات غرامية
على نحو من الحمق
وأبقي حياتي
في مكانها الفطري
كنزوة شاعر،
لكن وعلى نحو المفاجأة
صرت الولد الذي يعبأ بالأشياء العادية
ويزهّد بالأسرار.



في أحد أركان البيت
يغطُّ الحب بنوم عميق
يوقظه أخوتي
بخشخشة المفاتيح
وتدلق أمني عليه
الماء البارد،
أنا أخواتي فيلبسن أقنعة لير عينه..
الحب نائم
قدر حاجتي الملحة
لإيقاظه
بالسكين.

ما كان ينبغي لي
أن أدفع أول كتبي إلى الطبع
مع إمكانية الانتظار
حتى مراجعته لتقديمه
كآخر كتاب في حياتي التالفة..
أطلع
الآن
لغيومه العادية بامتنان
وقد بدأت تتبخر
في رأس القراء.

أديروا رؤوسكم
لأن السيد سيمر، احنوها
لأن السيد سيقف، أغمضوا أعينكم
لأن السيد يتحدث، اغلقوا آذانكم
لأن السيد يؤدي الوظيفة نيابة
عن الجميع..
قفوا قليلاً
لأن خطوات السيد ثقيلة بعض الشيء
تراجعوا
لأن السيد لم يعد موجوداً
في العالم
إلا عبر الصيغة التي سيتدلى بها
من القمر.

أحبك فأظل مستيقظاً
لأن الناس حين ينامون
يسرق مجهول أعينهم
ويثبتُ
عيني كل أحد بباب داره..
أحبك فأظل لامعاً
لأن أيام العالم التي لم نعشها
تتعرض للتلف.

أخاف من أن ييزغ
قمر في بلاد
بنحوٍ من السمو الفاتن
ولا تتمكنين من رؤيته،
أخاف من أن تهدر الينابيع
التماعاتها
دون أن تبادليها
الإعجاب،
أخاف من أن يكون لي
قلب ليس بمقدروك
أن تعلقينه كجرس.

أمي تغسل ملابسنا
قبل أن تتأكد من إفراغ محتوياتها،
ليس سوى
قصاصات
وداع في جيبى
وقد قررتُ أن أكتب
كل ما هو عن الحب
بصيغة الوداع النهائي،
ثمة دموع في كلمات خطابي
المفجوعة،
دموع حاملة
ظهرت في تلك الأصبوحة
كفقاعات الصابون..

أجلس فوق حجرة
وأرى هؤلاء الرجال والنساء
يخونون نظراتهم الحزينة..
أجلس محدثاً نفسي
عن الحضارة الأمريكية
بالطريقة التي يتحدث بها
مكفوف
عن إغماض العينين.

أرقد هناك
ميتاً وأنت تقلب جثتي
يا للمرارة
حين تسحبني من قدمي
معتقداً
أن خشونة الأرضية
لن تؤلم جلد ظهري،
أحول بصري دونك لكنك تغمض عيني
دون انتباه..
أرقد هناك منسياً
بامتداد مقبرة
وقد أثر حبك هذه المرة
أن يطردني من موتى.

يلاحق جندي مجهول
قطاً ببندقية ضخمة
يطلق النار
ليفزعه،
فيحشر القط نفسه
في حفرة لا تعصمه من موته
الأكيد..
هذه ليس دلالة
عطف شخصي مفرط
لكننا كنا قد طورنا جزءاً
من جوهر إنسانيتنا
بفعل التعامل مع القطط.

أؤمن أن النجار
يمكنه أن يؤلف خطاباً
فطرياً أشد لطافة مما
لدى شاعر،
أن أحدهما و- أقصد النجار -
غالباً حين تمطر السموات وحلاً
سيبدو أشد حساسية
أوان التعرف على الخشب.

**

أخذ طفلي
مني دفترًا ليرسم
ذئبًا
بفم عريض
وأسنان صفراء
بين فترة وأخرى كنا
نغير شيئاً في الذئب..
وبصرامة قد لا تعجب الكثيرين
أقول الآن
أنا وطفلي
لسنا آلهة
ننجز مخلوقاً في العالم كي ننساه.

أحفر اسمي على طرف نافذةٍ

تتحسسه

ثم تحفره ثانية

لإيهامه بالخلود..

في الغبار يتطاير وقد يعلق

بأجنحة العصافير

دون أن تتنبه..

اسمي محفور بأزميل

لكن الغرباء الذين سيستأجرون البيت

يلغون النافذة..

اسمي لن يكون موجوداً عندها

في حيزه الطبيعي

لكنك ستظل ترى.

تحلوي خريطة بلادي
فأمرّ إصبعي
عبر حقولها الممتدة
كبيوت غير مأهولة
تتخط الإصبع
لأنها المرة الأولى التي تقطع
فيها خريطة
بنحو من الجدية..
يحلوي أن أقبلك ونحن نبدأ
بمحو شارعنا من الوجود
لكنك حين لا تستدل بواسطة
أصابعك الضائعة
تستخدم فمي.

لا يوجد جرح عراقي وجرح
من بلاد نائية.

الجراح

مثل البشر

ينجحون بإخفاء أصولهم

لكننا نتسرع غالباً

ما أن نتلمس جرحاً إنسانياً

حتى نتوهمه

مولوداً في بغداد.

آخر ما أبلغه
بعد أن أكون قد سافرتُ
مئات المرات
خبرت المر والمالح
والخلو
من الحب،
صفحت عن نوايا البشر
وآخيت وحوشهم..
آخر ما أعرفه
أن المرء يذرف دموعه
لينسى البلدان التي
ألفها أوطاناً ذات مرة
فيعوزه وطنٌ للذكرى.

بفعل الرياح التي تدوي
في الخارج
لدينا شيء لنقوله،
بفعل مواصلة المشي
في الممر الحزين
لدينا شيء لنفعله
نتوابع في غفوة برق مجهول
ونتعانق في لمحة مصباح.

**

وضعوا الحب
داخل زجاجة بيـرة
ثم تناوبوا على إصابته بطلق ناري..
لم ينجح أحد
من هؤلاء الجنود
في ساعة فراغهم
بدا أن أي أحد منهم
أسوأ حظاً من عشرة عشاق.

الحرب تتواصل
مع الناس بطريقتها، تلقي الصخور
حيث ينقلون أقدامهم،
تزيح النجوم
وتثلم القمر بزجاجة النافذة..
الحرب طويلة
حيث يخبر المرء رفيقه
معبراً عن المسافة
بالوقت أو بالكيلومترات،
الحرب أي حرب ستبدو أطول
مما ينبغي أن تسمي للأحياء أيام
أقصر من أيام الموتى.

إنشاء قصيدة حزينة
خيار يتطلب دموع
رجل خرج للتو
مبللاً من الحمام،
مَن في الصالة لا يميزون دموعه
من قطرات الماء البارد
وهي تغمر تجاعيده..
إنشاء قصيدة حزينة
أمر يتطلب محاورة الرجل
ثم اعترافه
حتى لو كلف الأمر ربطه
بسلك مروحية..

الرجل يئن والقصيذة تكمل دورتها
أما الحقيقة فهناك حيث
لم تكن الفطرة يقطعة بالكامل:
قطرات الماء تطفو
على الوجه لاستسهال إزاحتها
أما الدموع فتغطس
في حوض الحمام.

**

هذه المرة لأحصي اللحظات التي
لا نتحدث بها،
صمت يتخلله
نقيق صفادع
كصوت نعاس نهر،
نباح كلاب تعبت من الهرب
وأغان
بترجمة رديئة
تخطف مع ضوء دراجة..
هذه المرة
حيث أبدو بحاجة
معانقة غير أزلية
تفعل أفضل ما بوسع حيوان مفترس فعله:
تمنحني بيتاً مرسوماً بالزيت
وجداراً منهجراً
لظلالي.

تبدأ حياتي بالطريقة
التي شاهدتُ فيها بندقية، غيري رآها في أفلام الشاشة
والآخرون تلمسوا زنادها
في المجلة
أنا بنفسي
اكتشفتها
مسندة على الجدار
ومغطاة بثوب عربي قديم
ثم سمعت إطلاقها الناري
لإنهاء أنفاس كلب..
الأشياء التي عرفتُها لاحقاً
تعاملتُ معها
بالنحو الذي تعاملت به مع البنادق
ها هي صورة من صور
الحب وإخفائه:
كيف يدرس أحدنا
لغة شائعة مطمئناً لأمومتها
ويتكلم بحذر.

تغني أمي وهي تقلي السمكة،
موالها يبدو
مرتجفاً
والمالح الذي تنثره على الزيت يثير صوتاً مألوفاً..
أمي وحيدة
لأن اليد التي تفعل بها كل شيء
وحيدة
يدها الأخرى
سنربت بها على أكتافنا الفاشلة
حين تموت.

كنت ممتدة على السرير
وخلف رأسك
سوتيان رمادي
وعلى يمينك منفضة شبه قدرة،
صوت مذيع الحرب
يبقي الغرفة
جدية،
ألقيت ضحكة عالية
وبكيت بموازاتها
ضحكة لاخفاء ابتسمة
ودموع حيوانية الطابع
للترفع عن الألم.

**

سوف أكره
الشعراء الذين ألفتُ
نواحيهم
وقد بدا أي شيء سوى أن يكون حقيقياً،
الطغاة الذين كانت
كلماتهم حنونة،
الآباء وقد أمكنهم الزمن
أن يصيروا أسلافاً،
الأهل والرفاق المدفونين
في حقول الذرة،
سوف أكره الفنانين الذين أحببتُ أغانيهم
طالما عرفت
أن الفنان الصاعد يهبط
من أجل الفن
والفن الهابط
يصعد من أجل الفنان.

زر من أزرار قميصي
يوذُ عدم الالتحاق
مع أخوته
حين أمرنا الضابط بالصعود في الحافلة..
ذاهبون إلى الحرب
دون أي فكرة مسبقة
عن الطريقة التي سنموت بها..
الزر انفلت فقلتُ مصادفة
ولم أفكر بمعالجة الأمر
وقد عنتُ لي حياتي فيما بعد
إنها مكان مأهول لزر
تشغله بقعة دم.

أقتصدُ بالكلمات
التي أحوزها، لا أستخدم كلمة
إلا إذا كانت بدلاً عن اثنتين
لكن ها هي الظلال وحدها
إذ ليس هناك كلمات
تعادها
وبما أن حبنا سيستمر حتى المساء الأخير
فإني أراهن
على أن الظلام لن يكون دامساً للغاية إلا
لتمنحني ظلاً.



إنسان وحيد
في أبدية صغيرة يؤلف أغنيةً
لا يملُّ من تكرارها..
أغنية ثانية
تعني أن وحدته ستتلاشى
بغبار العدد القليل
من الناس..
إنسان وحيد مع إمكانية وجود
موقد صغير،
دخانه يرث النجوم
وجمراته اللامعة تتقشرُ في الريح.



تبدو ميتاً
ذا تطلع كبير
في كل مكان من البيت
تظن أن هذا هو ملك عينيك
وما أن يطبق أهلك جفنيك
حتى يعرف الجميع أن مملكتك
هي الجزء
الذي لم تقع
عليه عيناك فحسب.



فقد الدين بصره
فصنع له الأئمة عينين
في الخلف
تسلل لهما الغبار
فعالج الفقهاء ذلك بسرعة كبيرة
عينا الدين البشري
مليئتان بالغبار
ويتوجب علينا أن ننفضه دون أن نخدشهما
لنرى.



في الشارع المزدهم
كان العالم
رائعاً
خطى الناس بدأت تختفي،
ظلالهم تتبعهم،
الحصان ميت والثلج
يدفن حديقته،
الأب جريح لما لديه من صلابة،
وأنا أحمل قلباً مهجوراً
كالنجمة،
لا شك أننا نخطئ دائماً في تقدير اللمعان.



كان الاطفال يتعلمون أشياء
ليست بمتناول أيديهم
أحدهم يفرد ذراعيه
ليصبح طياراً
الآخر يجهز حفرة تسع أكثر من نبتة
هناك من يصنع عجلات سيارة
وهناك من يطفئ موقد
الاطفال جميعهم
ينجزون أعمالهم
العبيثة دون مبالاة
ليتوحب عليك منذ تلك اللحظة
أن تحبني بما أنك لم تستطع أن تتعلم شيئاً.



لأنك ترغبُ أن تصطاد الضوء
الذي لن تبلغه فاتك أن تعلم أن
الشمس ستشرق
حيث تبقي وجهك متلفاً
ثم تغرب حيث تعود
خائبا بأيدي مليئة بالحصي.
♠

حياتي كلمة أخيرة
يتوجب علي أن أصمت
لأدعها تشق طريقها غير مبالية
بأن هناك العالم
الذي يتوحش عبر الكلمات.
♠

أنا حزين وشعري
ليس كذلك، هادئ وهو
مأخوذ بالصراخ، شاحب وهو ملتمع كالثمرة،
أنا حي وشعري عما قريب
سيمسي أغنية:
المباهج التي نعتز بها لن تعود
سوى أغنياتنا الأخيرة
حين نموت.



تصبحين على خير
يا طرقي في الحب، سأغادر بيتي
لأنني لن أجدو بطلاً
في المستقبل القريب،
لن يخذعني الضوء لاستلهاام الدفء،
النجوم لإهدار سنوات في تتبعها على الخريطة..
في المحصلة لن تدفعني
الخدعة لاغتنام أسوأ الفرص.



هل مشينا ذات يوم
دون أعيننا وأقدامنا؟
تلامسنا دون أن يعني
أحدنا للآخر
شيئاً
سوى مساحة ضئيلة من جسد؟
هل عشنا
ببعض الصلابة
مثل أصص الطين لأن حيواتنا المستحيلة
تتراخى كالأزهار.



جلسنا في الهواء
فقلْتُ لك أن
الموت
- عند الحديث عن التضحية
من أجل الحب -
هو الرقم الصعب
لكنك تحاول أن تحطمه
وأنا أعلم أنك ستنجح بذلك إلى حد ما
أعني أنك ستحطمه
فتموت.



أين البشر الأحياء
لأحبهم،
لأقيم عندهم في الليالي الباردة،
لأجلس معهم حياة قليلة
ثم نتعانق
لأن الكل يمد يده
ويبقي عينيه مغمضتين..
أين البشر الأحياء لألتزمهم رفاقاً
كما يمسك غريق
برقبة غريق للنزهة،
آلامهم الملموسة
لا آثارها فحسب
لأن الذاكرة وديعة
جديرة بالأن نحشوها بالقصص.



اليوم أخبرك
أنك تزداد إنسانية
حين يكون لك وجه لن يتذكره أحد
صوت لن يتم تمييزه
قدمان ألفتان
كتفان غير موجودتين إلا
في الأكف التي تربتُ عليهما
ودم لن يختبره العالم
إلا في تنظيف السكين.

انظري كيف يمسك أحدنا بيد الآخر
ونرحل في الريح
دون مؤونة..

الظلام يضاعفُ مخاوفنا
أما أضواء السيارات فهي للدلالة
على أن الموت يجيء مباغتة..
انظري إلى قدمي كيف تلتهم ظلالك
بشراهةٍ

هكذا ستعرفين أن الأرض
صغيرةٌ كالدوامة
لكنها تكبرُ في الدوران..



أحبك في اللغة
التي ولدت بها ولعلي سأتعلم لغة
إضافية
أو اثنتين..
قول الكلمة ذاتها بأكثر من لغة
نزّهةً لعاشقين طموحين
لأن القبلية
تكمُن في إبقاء الكلمة
الوحيدة ساخنة بفمي.



في صغري
ظلمتُ أظن أن هابيل
هو من قتل قابيل
وكان المعلم والأب
ينبهاني مراراً
القاف للقتل
والهاء للهدوء ثم المغفرة..
كانا يركزان على أول حرفين من اسمي قابيل
وهابيل
ويغفلان عن اللام
وهو ما كان يدفعني لأن أقول لهم
إن اللام في اسميهما
موحدة من أجل النسيان.



حديقتنا دائمة الخضرة
وماؤنا صاف،
أصابعنا وديعة حين نطارد الفراشات
وعيوننا دامعة
حين نحدق بالقتلة..
طريقنا معتم لأن المصابيح
تضيء عبر المرات التي نعثر بها
وظلالنا تتضاءل بين الأقدام..



البيت ذو الجدران
الطينية اختارني لأولد فيه،
الأم المتوسطة الطول
جعلتني ابنها،
الأب منحني الاسم الذي يتقلص فجأة
حين تحييني..
تمّ طلاء الجدران
وفتح فجوات في زوايا محتملة
لنعلم إن النوافذ هي الأشكال القاسية للحجر.



قادني ابي إلى الغابة
ليعلمني أسماء الأشجار
ولم يكن آنذاك متسع للمجاز
الأشجار بعيدة
وأبي لا يقوى على المشي مسافات
طويلة
لنقعد عند ظل كل شجرة
لا نعرف اسمها
كانت ثمة شجيرة حاولنا
أن نتذكرها حياة طويلة
حتى جاء الموت أخيراً كي ننساها.



لا غنى عن النجوم
حتى عندما تمتلئ البيوت
بالمصابيح، سماء لامعة
تجعلنا وحيدين
وقد يجيء الزمن الذي يستعصي فيه
على المرء أن يمسي وحيداً..
لا غنى عن المجاز
حتى عندما تتدافع أمواج الأنهار
بواقعية
الوحل ليس واحداً
لكن القلوب الصغيرة ستلطخ كالأيدي



أصطنع معك لعبة
فأغمض عيني لأموت
تظن إني متّ بالفعل
ثم تكتشف إني مجرد عجوز غاف..
أغفو فأموت
لتعبثَ على صدري
دون تمييز بين شخص يموت
عن جدارةٍ وشخص يغفو.



القصاصد الأخيرة تبدو ليست لي

لكنني لست سارقها

ماذا أعرف عنها الآن؟

- لا شيء

كيف ستؤول عبر الألسن إلى كلمات عادية

- لا أعرف

لقد اقتنصتها بالفعل

أقول ذلك بآلم

كأني دائماً سأصيب في القنص العابر

وأخطئ في التأليف.



لأكن موضوعاً طويلاً
تتحدثين به مع
الأهل والرفاق
في استراحة العمل وفي مهمة
ترتيب البيت،
عندما تفتحين النوافذ
وتدعين الشمس تفسد الألفة..
لأكن موضوعاً طويلاً
تختصرينه بجمل عائمة
عند الغرباء.



غالباً ما أدعي
إن كلمة الموت مريرة
وكلمتي البرد والظلام
يجعلناها أقل مرارة..
فأقول حين تمتلئ القاعة
يوم الأحد
إني سأعثر على حياتك السعيدة
في ألعاب الأطفال المفقودين.



طالما أن نهاية العالم
ليست الآن فهناك وقت مناسب
لأحبك دون تزجية للوقت،
فأخشى أن يكون
جسدك حقيقيا بما يكفي
لأجرحه بكلمة غير ملموسة فحسب..

طالما أن نهاية
العالم آتية فلم لا نقيم
في دموع البشر الذين يحبوننا
هكذا حين يذرفوننا
نستدلُّ على حيواتنا ويموتون.



القاتل يتصرف ببرودة كما لو أن بقع الدم
لا تدفعه

لتدخين سيجارة
على مقربة من جثتي..

عيناى ملتفعتان
ورثتى مليئة بدخانه

مع أن لا شيء فى جسدى يعمل ببراعة
جسد حى..

الموتى يستحقون العطف لأجل الجانب

السىء فى حيواتهم

لكن برودة القاتل

تبقينى حياً.



أربي مقطعاً شعرياً
إلى أن يغدو قصيدة
تقف على قدميها
أقول ذلك من باب الرأفة
لأن القصيدة لن تقف على قدميها
إلا حين تهرم..
أربي مقطعاً شعرياً
إلى أن يصير قصيدةً بأقدام لا أوزان لها
لتطير.

**

تسأليني الآن لم تُمنَحْ جائزة الشعر الوطنية
لشعراء غير وطنيين؟
ينال الرضا
من ملأوا الكلمات بالفخاخ
وتذهب نوبل للسلام
لمن أطلقوا النار
من أجل التنزه؟
يجعلك ذلك أقل ثقة
بما يُصنَعُ بوفرة شائعة،
أقل ثقة بالأمم على حد سواء
حين يزعم الكبار دائماً بأنهم الأجدر
بتأليف قصصٍ للأطفال.



الجراح هي الأشكال
الأكثر تجذرا
كالأقمار المكسورة..
هي الثمار التي نستلذ برؤية فضلاتها.
الجراح هي التي ينبغي أن نجتهد
لإتلافها دون إحداث جلبة
أما الندوب فإن الشموس الدائمة
كفيلة بها.



لا تذهب رفقةً أحدٍ إلى الياس
لأن ذلك سيجعلك أشد أملاً فقط.



أجد شيئاً
من حبك في الغبار
الذي يتلاشى
عبر الظلال..
الغبار هو اللمسة الأكيدة لحياتنا معاً
ذلك لأنه موجود
حتى في أيدي الذين يبحثون عن الذهب.



إنهم ليسوا بشراً
لكنهم ليسوا أشباحاً،
ليسوا أعدائي
لكنهم لم يكونوا ذات يوم رفاقي
إلى النبع نفسه..
إنهم أناس يتحدثون
عن القافلة
لكنهم ليسوا من يوجهها،
عن البلاد لكنهم
ليس ممن خسر الرهان..
هؤلاء المدانون دائماً
بإبقاء الأبواب مواربة
كي لا نكسب معرفة الريح.



مخاوفي ضئيلة مقارنةً

بمخاوف هؤلاء العميان الذين يشاركونني الطاولة

إذ يحذر أحدهم

أن يضغط بسبابته

على الخريطة

ويُخفي بلدي.



لم أحلم مثل الجنود
يأن أقتل أكثر عدد
من أعدائي..
كانت حياة الأعداء تسلية بالنسبة لي
ولعلمهم رددوا في سرهم:
أن نبذوا أعداء
أهون بكثير من أن نبذوا موتى.



صف البشاعة
دون أن تدعي الجمال للحظة واحدة،
صف أي شيء
دون أن تطأ الشارع
أنت عاجز عن ذلك..
خذ العالم أو خذ منه ما تشاء
فهو عار
بما يمنحنا من دفء
العالم ما تزال لديه القدرة
على أن يمسي مثل الدولار.



انتظرنا امي لتقول لنا:
حين تسمعون
أحدا يصيح لكم من الأمام
فهو يوشك أن يهبكم تلويحة فائضة..
حين يصيح بكم
من الحلف،
قفوا
لأن لصوص المدن المتأخرة
يسرقون الخطى.



هل فشل أحدهم
بأن يكون نذلاً
فبدا أشد نذالة؟
هل استخف بالحب
فأهداك وردة؟
هل أراد أن يجعلك أقل تقديراً
للعالم الآمن
فأوهمك لمرات متتالية بظلام البيت؟



لم أسافر إلى بلدة بقطار
ما الذي يحدث لي دائماً
لأوهم نفسي بذلك
فأزعم في قصيدي
بأني قضيت وقتاً في المحطة،
ونظرت عبر مقعدي في القطار
إلى السهول..
ما الذي يحدث لي
لأوهم الآخرين
بأني سأخرج لهم قصائدي الأخيرة من حقائب السفر.



يوماً ما سيعود
السحرة والعرافون،
الأنبياء في الساحة المسورة والمنجمون،
القتلة من مخابى
الأسلحة
والشعراء بعيون زجاجية
ولك أن تقدر الخبث
الذي سينظرون به هذه المرة
إلى الحجر.



كما لو أن شخصاً طلبَ
مني أن أعانق
أول أحدٍ يزورني مصادفةً
أطلب منك بسرية المياه الجوفية
أن تضربَ الجرس



إليك ما يحدث بعد دراسة نصف

قصص الحب:

يثق الحراس

بأن سجيناً لا يمتلك الجرأة

على تحصيل حريته

فلا يقفلون له الباب بإحكام،

يوقن السجين بأن تلك ليست سوى حيلة مدمرة

فيؤجل هربه مرة تلو الأخرى

لصباح الغد.

هذا الكتاب يضم قصائد على نحو أقل جدية من أن تُعامل
كقصائد، فهي تدوينات أو محاولات لتأليف تاريخي
الشخصي أو سيرتي الذاتية عبر تقمص أصدقاء أشخاص نبلاء
وحزينين وموتى.

عامر الطيب

تصميم الغلاف: لينا عامر

ISBN: 9789189925212



9 789189 925212